

برنامج

"الحج عبادة وسلوك".

لفضيلة الشيخ

خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَصْلِحِ

www.almosleh.com

((الحلقة الثانية عشر .. التعاون وأثره في الحج))

الله تعالى أمر المؤمنين بأن يكونوا متعاونين على البر والتقوى، فقال جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(١).

والحج من الأعمال المباركة التي تحصل بإعانة الله تعالى للمؤمن في أن يقوم بما فرضه الله تعالى عليه، ويكمل هذا الحج بتعاون الجميع، تعاون المسلمين بين بعضهم البعض، لتحقيق الغرض من هذا الحجيء.

الله تعالى يقول لخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢).

وبهذا يتبين أن الحج عبادة جماعية، عبادة ليست من فرد، بل من جماعة، حيث قال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾، أي على أقدامهم ماشين، ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أي على مراكب من الإبل أو الخيل، أو غير ذلك مما جد من المراكب الحديثة، طائرات، وسفن، ومراكب سائرة على الأرض من السيارات والباصات، وما أشبه ذلك، كل هؤلاء يجتمعون، ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

لن ينجح هذا إلا بتعاونهم، لن ينجح هذا الاجتماع إلا بائتلافهم، لن ينجح هذا الاجتماع إلا بتحقيق معنى الأخوة الإيمانية، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣).

فإذا تحقق هذا حقق لهم الله تعالى ما ذكره من الغاية والمقصد حيث قال: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾^(٤).

(١) سورة المائدة : ٢ .

(٢) سورة الحج: ٢٧ .

(٣) سورة الحجرات: ١٠ .

(٤) سورة الحج: ٢٨ .

يقول الله في الإشارة إلى ضرورة التعاون والائتلاف والاجتماع، وأن يكون المؤمن عونًا لأخيه في تحقيق الخير والكفاية من الحاجات، ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾.

يقول: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾، هذا لحظ النفس، ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾، هذا إعانة لكل ذي حاجة، فمنافع الآخرة، ومنافع الدنيا لا تدرك إلا بالتعاون والائتلاف والاجتماع.

الحج مؤتمر إسلامي كبير، بل مؤتمر عالمي كبير، فيه يتحقق الاجتماع والتعارف والتآلف، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالتعاون.

إن الحج تجمع اقتصادي، وكل تجمع اقتصادي لا يمكن أن يؤدي غرضه، ولا أن يحقق مقصوده إلا بأن يتعاون الأطراف وأن يتآلفوا في تحقيق الغاية والمقصود.

ولذلك حثَّ الله تعالى المؤمنين على التعاون بتذكيرهم بالتقوى، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، ثم قال جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وإن النبي ﷺ أكد على معاني يتحقق بها التآلف بين المؤمنين، والاجتماع على الخير، والتعاون على البر، فأمر بإشاعة السلام، فقال: «يا أيها الناس أفسحوا السلام»، وأمر بإطعام الطعام، فقال: «وأطعموا الطعام»، ثم قال: «وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^(١).

فكل هذه الخصال مما يتحقق به للمؤمنين المقصود من هذا العمل.

الحج اجتماع يتحقق فيه ذلك الذي ذكره في وصف المؤمنين، قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، يرحم بعضهم بعضاً، وينصر بعضهم بعضاً، ينصر الظالم والمظلوم.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وقال الترمذي: "حديث صحيح".

المظلوم بالإنصاف له، والظالم بكفه عن ظلمه.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

الحج يتعاون فيه المؤمنون على إذابة كل الفروق التي يمكن أن تكون بينهم، من فروق مالية، أو فروق عرقية، أو فروق لسان، أو فروق صورة، كل هذه الفروق تذوب وتنتهي وقد قال النبي ﷺ: «المسلمون تتكافأ دمائهم ويسعى في ذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم»^(٢).

هكذا يبين النبي ﷺ الخلال والخصال التي يتحقق بها الائتلاف لهذه الأمة. وإن الأمة إنما تسمو وتعلو وترتفع وتسبق إذا اتلفت أهلها واجتمعوا، فالاجتماع رحمة.

وقد قال الله جل وعلا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣).

وقال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»^(٤).

إن النبي ﷺ أكد الالتحام، والاتفاق، والتعاون بين المؤمنين، فقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٥).

وهذا يبين أن المؤمن يعين أخاه المؤمن.

أنا أدعو حجاج بيت الله الحرام أن يحققوا هذه الخصلة في كل أحوالهم من خروجهم من بلادهم إلى عودهم فإن المؤمن يبلغ بإعانتته لإخوانه أجراً عظيماً وفضلاً كبيراً سواء كان ذلك بسقايتهم، أو كان ذلك بإعانتهم في أموالهم، إذا

(١) سورة التوبة: ٧١.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٥)، وصححه الألباني.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٨٥).

(٥) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

احتاجوا إلى مال، أو كان ذلك بالإعانة في البدن إذا احتاجوا إلى الإعانة في أبدانهم، وأعظم ذلك كله أن يعينهم بدلاتهم على الخير، وإرشادهم إلى إتمام نسكهم على الوجه الذي يرضاه الله ﷻ.

كل ذلك من أعمال الخير والبر التي ينبغي للمؤمنين أن يتعاهدوها، وأن يتعاونوا عليها، وأن يرفق بعضهم ببعض.

أدعوا إخواني إلى إشاعة السلام بينهم، إلى إفشاء الابتسامة، فقد قال النبي ﷺ «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(١).

إعانة المسلمين بالرحمة فيما بينهم فإن النبي ﷺ نهى عن التزاحم طلباً للائتلاف والرحمة والشفقة، وأمر بالسكينة في الدفع، وهو وقت التزاحم لأجل ألا يضر بعضهم بعضاً.

وأذن للضعفاء بالانصراف من مزدلفة ليلاً إعانة لهم على إتمام النسك على وجه يندفع به عنهم الضرر.

فالرحمة والسكينة واليسر والتيسير، وافعل ولا حرج، كل ذلك مما يحصل به إعانة المؤمنين بعضهم لبعض الذي يتحقق به قول النبي ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً».

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).